

توديعُ الوادعي والتوعية لمن يعي

(هذه القصيدة رثاء للشيخ أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي علامة الحديث المعروف ، رحمه الله

تعالى رحمة واسعة ، وكان الشاعر على علاقة طيبة به)

١٠/٦/١٤٢٢هـ - ٢٩/٨/٢٠٠١م

عَدْتُكَ الشَّمَاتَةَ^١ يَا مُقْبِلُ وَلَا يَشُمْتُ الْمَلَأَ الْكُمَّلُ
وَوَرْدُ الرَّدَى قَدْرٌ فِي الْوَرَى وَكَأْسُ الْأَخِيرِ هُوَ الْأَوَّلُ^٢
أَشَاعُوا رَحِيلَكَ قَبْلَ الرَّحِيلِ فَهَلْ إِنْ رَحَلْتَ فَلَنْ يَرَحَلُوا؟
بَكَتِكَ الْعُلُومُ عُلُومُ الْحَدِيثِ وَعَالِي الْأَسَانِيدِ وَالْأَسْفَلُ
وَصَلَّتْ عَلَيْكَ رُبُوعُ الصَّلَاةِ وَوَدِيَانُنَا وَكَذَا الْأَجْبَلُ
فَفِيهَا نَشَرْتَ عَيْرَ الْهُدَى بِقَوْلِ النَّبِيِّ وَمَا يَفْعَلُ
وَأَحْيَيْتَ سُنَّةَ خَيْرِ الْوَرَى فَلَقَّاكَ ذُو الْعَرْشِ مَا تَأْمَلُ
أَلَا رَحْمَةً اللَّهُ تَعَشَّكَ مَا دَعَا الذَّاكِرُونَ وَمَا هَلَّلُوا
نَظُنُّ بِكَ الْفَضْلَ مَهْمَا جَرَى وَإِنْ جَهَلَ الْفَضْلَ مَنْ يَجْهَلُ

١ أي تجاوزتك الشّماتة .

٢ وردُ الرّدَى : الورد هو مكان شرب الماء ، والرّدَى هو الموت ، والمقصود : أن الموت مثل مكان الشرب سوف يمرّ به كل شخص ، والكأس الذي يشربه الأخير هو نفس الكأس الذي يشربه الأول .

وَإِنْ كَانَ نَقْدٌ لَدَيْنَا لَكُمْ
 فَلَسْنَا نُؤْتِبُ مَنْ يَرَحُلُ^١
 عَرَفْنَا الْحِمَى^٢ حَرَمًا آمِنًا
 لِمَا قَدْ يَصِحُّ وَمَا يَبْطُلُ
 فَلَمَّا قَدِمْتَ تَحَامَى الْحِمَى
 مِنْ الْمُحَدَّثَاتِ وَمَنْ بَدَّلُوا
 وَصَارَ السَّقِيمُ وَلَوْ سَاقَهُ
 عِيَالٌ عَلَيْكُمْ بِمَا حَصَّلُوا
 شُيُوخَ الْبِلَادِ أُلُوفُ الْعِبَادِ
 وَدُورُ الْحَدِيثِ هُنَا أَوْ هُنَاكَ
 بُدُورٌ وَبَدْرُكُمْ الْأَوَّلُ^٣
 وَفِي سَائِرِ الْأَرْضِ ذِكْرٌ لَكُمْ
 وَيَا لِلْبَسَاطَةِ مَا تَفْعَلُ
 وَأَنْتَ الْمُجَدِّدُ فِي أَرْضِنَا
 وَكَأَنَّ الْأَمِيرَ وَكَأَنَّ الْأَمِيرَ
 لِمَا سَنَّهُ السَّلْفُ الْكَمَلُ
 وَيَا مَنْ مَضَيْتُمْ عَلَى دَرْبِهِ
 وَكَالْمَقْبَلِيِّ مَضَى مُقْبِلُ
 إِذَا مَا بَدَا الْحَقُّ لَارِيْبَ فِيهِ
 تَحَرَّوْا وَإِيَّاكُمْ وَالْعُلُوَّ
 فَمِنْ أَيِّ صَوْبٍ أَتَى فَاقْبَلُوا
 فَمَا الْحُبُّ لِلشَّيْخِ تَقْلِيدُهُ
 لِأَنَّ الدَّلِيلَ هُوَ الْفَيْصَلُ

١ أي أننا نحسن بك الظن ونعترف لك بالفضل مهما حصل من تبأين في الاجتهادات ، وإن جهل فضلك الجاهلون ، وإن كان عندنا أي نقد في بعض الاجتهادات فليس وقتُه عند رحيلك (كما فعل الذين ائبلوا بالشَّماتة).
 ٢ الحمى ما يلزم حمايته كالبلد ونحوه والمقصود كان بلدنا مسرَّحاً للصحيح والباطل من الأحاديث ، فلما جاء الشيخ مقبل تَحَامَى الناس من الوقوع في المُحَدَّثَاتِ والأحاديث الضعيفة ، وصار الحديث الضعيف غير مقبول في الأحكام ولو ساقه صاحب وجهة أو بلاغة .
 ٣ بدرُكم الأول : أي دارُ الحديث التي أسستُموها كانت هي الأولى .
 ٤ نصيحة للذين ساروا على منهج الشيخ أن يتحرَّروا ويتجنَّبوا العُلُوَّ في الشيخ والشدة في التعامل .

وَمَنْ زَانَهُ الرَّفْقُ أَفْضَى بِهِ
 إِلَى مَا هُوَ الْخَيْرُ وَالْأَمْثَلُ
 وَجَدَوَى الْبَصِيرَةَ فِي وَاقِعِ
 كَجَدَوَى الْعُيُونِ لِمَنْ يَعْمَلُ^١
 وَحُسْنُ الْمَظْنَةِ بِالْمُسْلِمِينَ
 مِالَكَ السُّلُوكِ لِمَنْ يَعْقِلُ
 وَأَمَّا الْمُصِرُّ عَلَى بَاطِلٍ
 فَإِنَّ سَاءَ ظَنُّهُ فَيَسْتَأْهِلُ^٢
 وَكَانَ ابْنُ بَازٍ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ
 إِمَامَ الْجَمِيعِ لَهُ الْمَنْزِلُ
 وَأَهْلُ الْحَدِيثِ لَهُمْ حِدَّةٌ
 وَبِالرَّغْمِ مِنْهَا فَقَدْ أَصَلُوا
 وَمَنْ يَنْقُدِ الشَّيْخَ فِي نَقْدِهِ
 فَقُلْ لِي بِرَبِّكَ مَنْ يَكْمُلُ؟^٣
 تَوَاصَوْا عَلَى الْبُخْلِ فِي ذِكْرِهِ
 وَكَمْ لَمَعُوا النَّذْلَ لَمْ يَبْخَلُوا^٤
 أَصَابَتْ الرُّوَافِضَ فِي مَقْتَلِ
 وَرَكِبُ الْجَهَالَةِ قَدْ شَلَّشَلُوا^٥
 وَقَدْ حَاوَرُوا دُونَكَ الْمَارِقِينَ
 أَلَا حَاوَرُوكَ فَلَمْ يَعْبَجَلُوا
 كَمَا حَاوَرُوا مُقْبِلًا غَيْرَكُمْ
 وَأَنْتُمْ لَهُمْ مُقْبِلٌ أَفْضَلُ
 كِتَابَاتُهُمْ تَتَعَدَّى الْحُدُودَ
 وَإِعْلَامُهُمْ بِئْسَ مَا يَفْعَلُ

١ وفعل البصيرة (القلب) في عمق المتهج كفعل العين في النظر إلى ظاهر العمل والتنفيذ .

٢ والأصل حُسن الظن بكل مسلم إلا المُصِرَّ على باطل ظاهر فيستحق إساءة الظن به .

٣ والحِدَّةُ طَبْعٌ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ فِي نَقْدِ الرِّجَالِ قَدِيمًا وَفِي هَذَا الْعَصْرِ ، وَرَغْمَ ذَلِكَ أَصَلُ أَهْلِ الْحَدِيثِ لِلنَّقْدِ بِضَوَابِطِ شَرْعِيَّةٍ لَا يَخْرُجُونَ عَنْهَا إِذَا دَقَّقْنَا فِي عِبَارَاتِهِمْ ، وَالَّذِي يَنْقُدُ الشَّيْخَ فِي نَقْدِهِ رَبَّمَا يَكُونُ وَاقِعًا فِي خَلِّ أَكْبَرَ ، وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَدَّعِيَ الْكَمَالَ .

٤ تعمَّدَ خِصُومُ الشَّيْخِ مَنْ يَدَّعُونَ الْإِنْصَافَ أَنْ يَتَّجَاهَلُوهُ فِي حِينٍ يَقُومُونَ بِطِرَاءِ الْأَنْدَالِ .

٥ الشَّيْخُ يُوَاجِهُ الرُّوَافِضَ بِقُوَّةٍ ، وَخِصُومُهُ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ دَعَاةُ يُثْلَسَلُونُ (يُرْفَعُونَ) مِنْ شَأْنِ الرُّوَافِضِ فِي إِيرَانَ وَفِي لُبْنَانَ وَفِي الْبِلَادِ الْغَيْرِهَا فِي الْفَتْرَةِ الْمَاضِيَةِ وَيُحْسِنُونَ الظنَّ بِهِمْ .

أَيْسْتَنْصِرُونَ بِذَلِكَ الْإِلَهَ؟! أَمْ أَنْتَابَهُمْ خَلَّلْ مُنْذَهُلْ؟!
 وَحَبَلُ الْجَوَارِ قَصِيرٌ لَكُمْ وَأَمَّا هُنَاكَ فَمُسْتَرْسِلٌ
 وَقَدْ أَهْمَلُوا وَازْدَرَوْا شَأْنَكُمْ وَمَا مِثْلُكُمْ شَأْنُهُ يُهْمَلُ^١
 أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّكُمْ وَأَقِيعٌ وَمَاضٍ مَدِيدٌ وَمُسْتَقْبَلٌ؟
 وَمَنْ ضَاقَ لَمْ يَحْتَمِلْ مُسْلِمًا لَوَى أَنْفَهُ الْكَافِرُ الْأَرْذَلُ
 أَلَا سَدَّدَ اللَّهُ مَن يَبْذُلُ تَدَابِيرَ صُلْحٍ وَلَا يَكْسَلُ
 وَإِنَّ التَّصَالِحَ فِي الْمُسْلِمِينَ عَلَى نَهْجِ حَقِّ بِهِمْ أَجْمَلُ
 وَلَنْ يَعْجِزَ الْحَقُّ عَنْ جَمْعِهِمْ كَمَا اجْتَمَعَ السَّلْفُ الْأَوَّلُ^٢
 وَلَكِنَّ تَقْدِيرَ أَهْلِ الْهَوَى وَأَهْلِ الزَّعَامَةِ مُسْتَفْجِلُ
 وَإِنَّ النَّزَاعَ ذَهَابُ الْقَوَى وَبَعْضُ التَّوَرُّمِ قَدْ يَقْتُلُ
 إِذَا مَا نَمَا الْعُضْوُ فِي مَعْزِلٍ عَنِ الْجِسْمِ فَالْجِسْمُ لَا يَقْبَلُ^٣
 نَقُولُ لِمَنْ هَمُّهُمْ كَثْرَةٌ حَذَارٍ فَكُمْ كَثْرَةٌ تَفْشَلُ

١ كما أنهم حاوروا الاشتراكيين العلمانيين وكان على رأسهم مقبل ، في حين لا يطبقون محاوره الشيخ مقبل ، وكتاباتهم وإعلامهم يُروَّجُ للانفتاح والعلمنة فهل ينتظرون أن ينصرهم الله بذلك ؟ أو أن الخلل قد أصابهم فلا يهتمون بالصالحين بل يزدرونهم ويبالغون في الاهتمام بالطالحين ؟ وقد أفضت هذه التصرفات في نهاية المطاف إلى تنكّر العلمانيين لهؤلاء الإسلاميين المُفتحين والشماتة بهم ، وإلى سيطرتهم وسيطرة الروافض على اليمن ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٢ حتّى على التصالح بين الجماعات الإسلامية ، وأنّ جمعهم على الهدى ممكن بإذن الله كما اجتمع السلف لو صدقت النيات .
 ٣ ولكن العقبة في تقديس الأهواء والزعامات ، فينتج النزاع وتشكل جيوب من الأهواء في الجماعات الإسلامية ، شبيهة بالأورام السرطانية القاتلة التي تجعل بعض الأعضاء تنمو نموّاً غير طبيعي .

وَأُمَّتِيَّ الشَّيْبَةَ دَوَامَةً وَإِنْقَاذَهُ بِالْهُدَى أَسْهَلُ
وَإِنَّ النَّفْسَ عَلَى مَوْعِدٍ إِذَا غَيَّرَتْ وَبَدَا الْأَفْضَلُ^١
وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَحْمَلًا لِلْكَلامِ فَعِنْدَ الْكِرَامِ لَهُ مَحْمَلُ
وَتَاللهِ مَا كَانَ مِنْ مَقْصِدٍ سِوَى الْحَقِّ وَالْحَقُّ لَا يُهْمَلُ

* * *

١ والنفس على موعدٍ من الله بالتغيير إذا تغيرت للأفضل ، قال تعالى : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد .